إضاءة

يُعدّ هذا العمل الذي حرّره الأب أنستاس ماري الكَرْملي من أثرى ما كُتب من المعاجم عن الضاد في فترة تحوّلها من الحقبة الكلاسيكية إلى الفترة المعاصرة، لكنه لا يزال مطموراً في انتظار من يقوم بتحقيق أجزائه غير المنشورة ورقمَنة مضامينه وإتاحته لجمهور واسع

نجم الدين خلف الله

حين استأنف أنستاس الكرملي الصناعة المعجمية

كنز منسيّ في دير ببغداد

«المُساعِد» مُعجمٌ من خمسة أجزاء، صدر منها الجُزآن الأوّلان، وظلّت البقيّة الباقية في غياهب النسيان، حبيسةً مخطوطٍ طُمر تحتَ الأرض خوفًا من تسلّط ساسةٍ مستبدّين في بداية القرن الماضي. كان قد حرّره الأب أنستاس ماري الكَرْملي (1866 - 1947)، بعدما أمضى في جَمعه وتَحريره، حسب مُؤرّخي سيرته، ثُلُثَيْ قرنٍ من الزمن، فاستوى ثمرةَ عمرٍ كامل من البَحث الدؤوب في معاني اللغة العربيّة، التليدة والحديثة.

استدراك لسان العرب

كانت قضية النشأة اعتياديّة: قرّر العالِم اللغويّ العراقي ورجلُ الدِّين ذو الأصول اللبنانيّة أن يواصل ما ابتدأه مُعاصرهُ بطرس البستاني (1819 - 1883)، في كتابه «مُحيط المُحيط»، معتبرًا أنّ سَلَفه لم يستوعب كلَّ ما ظهر في الضّاد من حادث العبارات وجَديد المفاهيم والمعاني. ومن جهة ثانية، رأى أنّ يُكمِلَ «لسان العرب» لابن منظور الأفريقي (1232 - 1311)، ويُضيف إليه ما أهمله من الكلمات العاميّة والدَّخيلة. لذلك، سمّى معجمَه هذا، في البداية: «ذَيل لسان العرب»، ثمّ ما لبثَ أن انفصل عن هذه الغاية وتوجّه لوضع قاموس كامل يضم بَين دفّتَيْه ما حواه «المُحيط» وما انطوت عليه كُتُب الأوائل، مُتّبعًا في ذلك الفيلولوجيا منهجًا في الشّرح والتّحليل، كما مارَسها عُلماء اللغة الألمان والفرنسيّون، خلال القرن التاسع عشر، في دراسة الآثار العربيّة.

كما اعتمد طريقَ المقارنة بين اللغات، علمًا متينًا لا مُجرّد فرضيّات. فاجتهد الأب أنستاس في رَبط الكلمات بأصولها المُفترَضة، ثم معاضدة ذلك بما توافر لديْه من المصادر الموثوقة والمعلومات الثابتة. وربّما، لهذا السبب، كان العديد من مفرداته ممّا هُجر اليوم في غربيتنا، أو ممّا كان ولا يزال سائدًا في كُتب التنبيت والوحيش والأمراض والأدوية، وهي كتبٌ مُختصّة، وبعضها مهجورٌ متقادم.

وقد عضدت أبحاثَ الرّاهب العراقي في أصول الكلمات الأجْنبيّة معرفةٌ دقيقة باللغات الشرقيّة والغربيّة، مثل: الآرامية والفارسيّة والعبريّة، فضلاً عن الإغريقيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة... كما كان يجتهد في ردّ المُفردات الدارجة، لا سيما العراقية والشّامية، إلى أصولها الفصيحة. ولذلك احتوى كتابُه بعض الاستعمالات العاميّة، والتي ربّما ضاع بعضُها اليوم في ما يتداوله النّاس من عبارات ولهجات في معيشهم اليومي ببغداد ودمشق والأرياف، كما جمعَ سائرَ المُولّدات المتناثرة في الصّحافة، أكانت مُولّداتٍ معنوية أم شكليّة. ولهذا يمكن عدّ «المساعِد» بمثابة موسوعةٍ لما طرأ على اللغة العربيّة من دلالات أهملتها المُعجمات الرسميّة العالمة. وكان الرّاهب العراقيّ، في شُروحه الدقيقة للدّخيل والمُوَلّد والعامي، يدعم ملاحظاته بشواهد من دواوين الأدب واللغة والتاريخ، التراثيّة والاستشراقيّة، ذاكرًا ما حصل لبعض الكُتّاب من الأوهام في شرحها، ونُصلحًا ما وقع في تقريراتهم من أغاليط. فلم يخلُ عَمله من تصحيحات لما قاله أساطينُ اللغة القدماء، مثل ابن منظور، والجَوهري، والفيروزابادي، ولما قاله معاصروه من اللغويين والمستعربين.

من الحِرَفات إلى المُعجم

ويُعدُّ كلُّ مَدخل من المداخل المُحرّرة في لغةٍ أنيقة، بمثابة سردية موجزة مكثّفة لمعاني الكلمات، تصف تاريخ ما مرّت به من التّحويرات الصوتية والدلالية، وتذكر سياقات ظهورها وتحوّلها وتوسّعها، وهذه المداخل حريّة بأن تُستغلّ في «معجم الذّوحة التاريخي» وأن تُضاف إلى ما قد أنجز طيّه من تاريخ لموادّ الضاد وتعقّب لتغيّر دلالات كلمها عبر العصور. ومِنْ أمثلة ذلك، المداخل الشيّقة التي تتناول حقولاً جغرافيّة أو ثقافيّة أو سياسية، والتي تستقصي، في تاريخ المفاهيم، ما طرأ عليها من أخطاء، ففيها نكتشف مثلاً أن تسمية «البحر الأبيض المتوسط»، ترجمةً لـ«Mediterranean»، قد بُنيت على خطأ في الفهم والتأويل، ومع ذلك لا تزال العبارة سارية في الاستعمال اليوم. ومن الطريف ما كتبَه عن مفردة أقيانوس، كاقصوصةٍ يُقرأ.

وقد ظهرت جلّ هذه المداخل، وبعضها مُطوّل محقّق، في الصّحف والمجلّات العلميّة، ولا سيما تلك التي أصدرتها مَجامع اللغة في العراق ودمشق والقاهرة، أو في مجلته العلميّة: «لغة العرب»، التي أسّسها سنة 1911، وأصدر فيها ما يزيد على 1300 مقالة، وهي التي شكّلت لحمة مُعجَمه «المساعِد» هذا.

وقد بذل مُحقّقا الجُزآئين الصّادرَيْن، كوركيس عوّاد (1908 - 1992)، وعَبد الحميد العلوجي (1924 - 1999)، جهدًا كبيرًا، في سبعينيات القرن الماضي لإخراج هذا القاموس (1972)، في أبهى حُلّة مع تحقيق كامل لما وَرَدَ في المداخل من المعلومات والفَرضيات، وذلك باتّباع نظام صارم من الإحالات والهوامش تُستوعب ما فيها من إشارات.

وتحمّلاً مني للمسؤولية العلميّة، أهيب من منبر «العربي الجديد» بكلّ الزملاء والمؤسسات العلميّة المعنيّة والمختبرات البحثيّة، إنشاء لجنة مختصّة لإتمام تحقيق هذا الكنز المغمور، الذي يواصل الاعتكاف في دَيْر الآباء الكرمليين ببغداد وزقمنة مضامينه وإذاعته بين النّاس، فهو من أثرى ما كُتب من المعاجم عن الضاد في فترة تحوّلها من الحقبة الكلاسيكية إلى الفترة المعاصرة. ليس من الأمانة أن يظلّ مطمورًا في صفحاتِه بخط يدِ ناعم تعرّج لعقود، تُحرم منه الخزانة العربيّة ويعزّ على الباحثين. فرجو ألّا تذهب هذه الدعوة سُدًى مثل مئيلات لها.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

من أثرى ما كُتب من المعاجم عن الضاد في فترة تحوّلها

لم يخلُ عَمله من تصحيحات لما قاله أساطين اللغة القدماء

محمد إسماعيل، زيت على قماش، 1989

مخطوطات لم تُنشر

إلى جانب مُعجم «المساعد»، ترك الأب أنستاس ماري الكرملي عددًا كبيرًا من المؤلّفات التي لا يزال معظمها مخطوطًا إلى اليوم. ومن بين ما صدر له: «أغلاط اللغويين القدمين» (1932)، و«رسالة في الكتابة العربية المنقّحة» (1936)، و«نُشوء اللغة العربية ونموُّها واكتهالها» (1938). كما حقّق عددًا من الكتب التراثية؛ مثل: «معجم العين» للفراهيدي (1914)، و«نُخب الذخائر في أحوال الجواهر» لابن الأكفاني (1939).

متابعة

فيلا هاريس متحفاً بعد عقدين من الهجران

فضاءٌ جديد لألوان المغرب

بعد سنوات من الإصلاح والترميم، عاد المعلَم الذي شيّده صحافيّ بريطاني نهاية القرن الـ19 إلى الحياة، باسم ومهمّة جديدين: «متحف فيلا هاريس»

ميشرافي عبد الودود

بعد إغلاق لقرابة عقدين، انبعثت من رمادها، قبل أيّام، فيلّا هاريس، التي بناها المراسل الصحافي البريطاني والتر بورتون هاريس (1866 - 1933) نهاية القرن التاسع، لتحمل اسماً ومهمّةً جديدين: «متحف فيلا هاريس». متحفٌ أُعلن عن افتتاحه بعد سنواتٍ من أعمال الترميم، وذلك سعياً من «المؤسسة الوطنية للمتاحف» في المغرب إلى «تزويد كلّ مدينة بمتحف، وإثراء المشهد الثقافي لمدينة طنجة بفضاء متحفيّ جديد يتّخذ من فيلا هاريس مقرّاً له»، بحسب بلاغ لمدير المتاحف الوطنية محمد قطبي.

هذا المبنى التاريخي، الذي شيّده لنفسه والتر هاريس أثناء إقامته في طنجة مراسلاً لمجلة «التايمز» البريطانية، على مساحة تغطّي تسعة هكتارات، مزوّدٌ بحديقة تضمّ أنواعاً مختلفة من النباتات. وقد استقبل هاريس في مكان إقامته هذا، في قلب طنجة، العديد من النخب السياسية والدبلوماسية والأشخاص ذوي النفوذ، بل وحتّى الجواسيس. وقد كانت طنجة، في ذلك الوقت، واحداً من المختبرات المؤثّرة في صنع الأحداث الكبرى.

يستضيف المتحف مجموعةً من الأعمال الفريدة، تبرّع بها جامع الأعمال الفنّية، الخليل بلكنوش، لفائدة «المؤسسة الوطنية للمتاحف». ويقترح المعرض الافتتاحي الذي يقدّمه المتحف مساراً يلخّص تاريخ الفنّ في المغرب، وذلك عبر أربع مراحل، تمتدّ من الإرهاصات الأولى التي تمثّلت في وصول الفنّانين الغربيين الأوائل، مثل أوجين دولاكروا وجاك ماجوريل، حتّى أعمال الفنّانين المغاربة المعاصرين. ويشكّل هذا المقترح فرصةً للاطّلاع على عدد من لوحات بعض كبار فنّاني أوروبا في بداية القرن العشرين، ومن أعمال وقّعتها الأجيال الأولى من الفنّانين المغربيين، الذين حاولوا صياغة هوية فنية مغربية، كمحمد بن علي الرباطي ومحمد السرغيني، مروراً بالجيل الذي أرسى معالم الحداثة المغربية، كأحمد الشرقاوي والجيلالي الغرباوي وغيرهما، وصولاً إلى أسماء من الأجيال المعاصرة. القسم الأول من المعرض مخصّص، إذاً، لأعمال بعض الرسّامين المستشرقين، الذين انجزوا في المغرب عدداً من لوحاتهم، في نهاية القرن التاسع عشر. من هؤلاء ـ إضافة إلى ماجوريل ودولاكروا ـ إيدي لوغران، وكلاوديو برافو، وجاك فيراسات.

ويركّز القسم الثاني على الجيل الأوّل من الفنانين المغاربة الذين احتكّوا بفنانين أوروبيين عن قرب، مثل محمد بن علي الرباطي الذي اشتغل مع البريطاني جون لافيري، أو محمد بن علال الذي عمل جنباً إلى جنب مع جاك أزيما، أو أحمد اليعقوبي الذي اكتشفه الكاتب الأميركي بول بولز. لكنّ المرحلة التأسيسية للفن المغربي تمثّلت في إنشاء أول «مدرسة وطنية للفنون الجميلة» في تطوان بمبادرة من الإسباني ماريانو بيرتوتشي. وقد أتاح التكوين الفني الاحترافي للجيل الأوّل من المستفيدين منه إحداث ثورة في المشهد التشكيلي، تجلّت على مستوى الممارسة والأفكار والأطروحات التي تمّت مناقشتها من قبل العديد من هؤلاء المتخرّجين من المدرسة بين خمسينيات وسبعينيات القرن الماضي، كأمثال محمد شبعة، والمكّي مغارة، وفريد بلكاهية.

أما القسم الثالث، فيتوقّف عند المرحلة الحاسمة التي شهدها الفنّ في المغرب في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، والتي تضمّنت العديد من المقاربات التشكيلية والمفاهيمية والنظرية، التي تمّ طرحها في خضمّ النقاش المرافق لمرحلة الاستقلال حول تلاقح الثقافات، والتي شاركت فيها أسماء فنية استكملت تعليمها الأكاديمي خارج المغرب، واستفادت من قربها من البانوراما الثقافية والفنية العالمية.

افتُتح المتحف بمعرَض يلخّص تاريخ الفنّ فيْ المغرب

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

يوم الافتتاح

قبل الترميم

من معرض الافتتاح في «متحف فيلا هاريس»

قصيدة

لماذا نكتب عن عزلة العصافير في الشتاءات وننسى الغيمة؟

الرجل ذو الشاربين الكثيفين

محمد رضا

الرجل ذو الشاربين الكثيفين
لا يعبر الشارع وحسب
بل يحمل المدينة في فتحة قميصه
مع أقدام وجلة
ومعطف يبتسم للشمس
كل يوم
يمرّ رجل ما
ها هنا، أراه على الرصيف
تحت الشرفة
مقابل الجدار الذي لا نوافذ في قرميده
مبتسمًا لهذا الغياب القائظ الذي سيتركه
فوق الشجرة
بوفرة من يتغيرون كثيراً
كي لا يشيبوا على مهل

يغضّ المنزل بالوافدين
يرقص الرجل قرب هذا الجسد الذي ما يزال
طفلاً
لعينيك لون اللمسة الأخيرة التي سيتركها
هذا العابث على جلدك
ملتحفًا ضباب الرغبة الشاردة
بوداعة من لا بيوت لهم
مثل رجل هادر
لا أشياء له في السينما
ولا أزقة ليقطعها في هذا الدخان المتصاعد
من غليونه
وسوف يسألك هذا الطفل
كم رجلاً في حياتك

وستبتسم للمتع الهاربة
لأجنحة النوارس
الطافية فوق هذا الوهج
كأنّ السحاب العالق في المنتصف
المركون إلى زاوية لا تُرى إلا من بعيد
نفس متقطّع تهمسه في آذان رجال الأسرّة

أنا رجلك
تهمس في قلب هذا الطفل
لي جسد منكمش
وشَعر فوق الصدر
وكلما أحببت أحدهم
ابتلعت نصفه
كي لا يغويني كمال الأشياء التي لا تعبر
فيها الريح
إلا لتهزّ غصن شجرة.

2

يأتي الرجل ويرحل
ثم تقبض اليد عليه بأطرافها
ولا تلمسه
الرجل الهارب مثل آخر ظلٍ منسي
تحت الشمس

تسيرُ السيارات بمحاذاة الطريق
ولا تسلك الطريقَ
إذ إن المسافة الشاغرة
تتسع لقيلولة طفل هائم
لماذا نكتب كثيراً عن عزلة العصافير في
الشتاءات
وننسى الغيمة
التي لا ينتبه أحد إلى الهجرة التي لا يهبط
المطر من دونها
إلا بتيبّسا
لماذا نكتب قصائد كثيرة عن الموت
الذي يقيم على مسافة مترين منّا
ولا نلتفت إلى هذا الحيوان الصغير
الذي يحبو على مهل
تحت أسرّتنا
بأربع قوائم
كمن يسرق التوت من شجرة جاره
لماذا نحب العيش في المدن الكبرى
ما دامت الأضواء البعيدة
أحلامًا نطلقها بين الفينة والفينة
كي لا يجد الثلج طريقه إلى فروات رؤوسنا
المحتفظة باغصان القرى المنسية
في عتمتها
لماذا نفتح الباب للحياة
حين لا نريد سوى الانتظار على العتبة
قصيرة
ومتأملة
مثل صدى الضحكات العالقة في السقف
لآخر طفلٍ مرّ من هنا قبل عامين
بشال وثير
وعينين محنّطتين كاترية الحدائق

(شاعر من لبنان)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

«الشاطئ» لـ جورج سير (1880 - 1964)، زيت على لوح

فعاليات

حتى العاشر من نيسان/ إبريل المقبل، يتواصل في فضاء «Bloom The Art Factor» بالجزائر العاصمة معرض استعادي للفنان التشكيلي الجزائري **مصطفى عدان** (1933)، لمناسبة مرور ستين عاماً على بداية تجربته الفنية. يضمّ المعرض لوحات ومنحوتاتٍ، إضافةً إلى أعمالٍ فنية منجزة بالنحاس والفخار، بعضها لم يُعرض من قبل.

العنف على أساس النوع الاجتماعي: كيف ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي في تنميط المرأة؟، عنوان ندوةٍ افتراضية تُقيمها «حملة - المركز العربي لتطوير الإعلام الاجتماعي»، عند السابعة من مساء الخميس المقبل، بمشاركة **عماد كريم**، و**غدير الشافعي**، و**فادي توما**، و**سهير فراج**، و**جمانة أشقر**، و**وفاء عبد الرحمن**، و**سناء العاصي**، و**عماد كريم**. تدير الندوة الناشطة **ريم عامر**.

يُفتتح، عند الحادية عشرة من صباح اليوم السبت، ويستمر لاسبوعَين، في «غاليري المشربية» بالقاهرة، معرضٌ تشكيلي للفنانة المصرية **شهيرة شكري** تحت عنوان **الجانب المضيء**، ويضمّ مجموعةً جديدة من أعمالها التي تواصل فيها إقامة حوار بين الطبيعة وما يُحيط بها من أمكنة وأبنية وأشخاص.

تُختتم، مساء اليوم السبت، في «مركز الفنون الركحية والدرامية» بمدينة الكاف التونسية، فعاليات الدورة التاسعة عشرة من تظاهرة **24 ساعة مسرح دون انقطاع**. توزّعت فعاليات التظاهرة بين العروض المسرحية والموسيقية والرقص والشعر والتشكيل، الى جانب ندوة علمية بعنوان **المسرح وتكنولوجيا المعلومات**.